العشق فى غزليات سنائى الغزنوى

إعـــداد

د. حمادى عبد الحميد حسين

كلية الآداب – جامعة أسيوط

المقدمة

تحدث سنائى الغزنوى[1] فى غزلياته عن العشق، كما أفرد له بابا فـــى مثنويـــه حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة[2].

وعندما كان سنائى يتحدث عن العشق فى غزلياته كان يقصد العشـــق الإلهـــى، ومن الواضح أنه نظم هذه الغزليات بعد تحوله إلى التصوف والعرفان.

---

[1] سنائى الغزنوى، اسمه على ما ورد فى الروايات الصحيحة أبو المجد مجدود بن آدم ، ولد فى مدينة غزنـــة، وتـــوفى السنائى عام ٥٤٥هـــ.

تجول سنائى فى أغلب مدن خراسان واندمج فى حلقات الدراويش، ووجد سنائى الهداية الحقيقية فى خانقاة الشـــيخ أبـــى يوسف، ووصل سنائى فى سلوك الطريق إلى درجة كبيرة ورفض شرف زواج أخت الملك بهرامشاه الغزنوى، قال سنائى:

من نه مرد زن وزر وجاهم	
	بخدا گركنم وگر خواهم
والترجمة:	
لله ما أفعل وله ما أريد	
	فأنا لست أهلاً للزواج والذهب والجاه

ولمزيد عن المعلومات عن سنائى يرجع إلى:

مقدمة الديوان: مختصرى درشرح احوال حكيم سنائى غزنوى، به اهتمام پرويز بابابى من صـــ٩ إلى صـــ١٤، چاب أول چاپ تهران، سال ١٣٧٥، رضا زاده شفق، تاريخ الأدب الفارسى، ترجمة محمد موسى هنداوى، صـــ٧٣، ٧٤، ط القاهرة دار الفكر العربى، عام ١٩٤٧م، تاريخ ادبيات در إيران از ميانه قرن پنجم تا آغاز قرن هفتم هجرى، دكتر ذبيح الله صفا، جلد دوم، چاپ چهار دهم، من صـــ٢٥٢ إلى صـــ٥٨٦ چاپ تهران سال ١٣٧٨.

[2] تاريخ ادبيات در ايران، صـــ٥٦١.

تحول سنائى إلى العرفان:

على الرغم من أن سنائى كان مهتماً فى بداية حياته بمدح السلاطين مثل مدحه لبهرامشاه الغزنوى[٣]، إلا أنه يعتبر أول شاعر من بين شعراء عهده ظهرت فى أشعاره الأفكار العرفانية الحقيقية، وجعل سنائى للعرفان أسلوباً جديداً صار به فى الغزل، ولم يكن العرفان قد أتضح بصورة واضحة فى الغزل الفارسى حتى ذلك الوقت ولعل ظهور التحول والتطور فى غزليات سنائى كان فى النصف الثانى من حياته حيث جعل نظم الغزليات فى العشق الإلهى، والتى ظهر فيها الشوق والأنين والوجد والارتباط بين الجاذب والمجذوب، يقول الدكتور "داريوش صبور" إن أهمية سنائى تبدو فى أنه أظهر فى الغزليات الفارسية نقطة إضافية جديرة بالاهتمام، حيث تحول بالغزليات من غزليات عذرية بحته إلى غزليات تهتم بالتصوف والعرفان، هذا التطور فى الغزليات كان كالبارقة، لأنه أنار الطريق لفكر الآخرين الذين جاءوا من بعده لإظهار مبانى العرفان فى الشعر الفارسى حتى اكتمل ذلك من بعده بعدة قرون، وصار ذلك سجية فى فكرهم وطبعهم[٤].

---

[٣] يمين الدولة بهرامشاه كان من السلاطين محبى العلم، كان بلاطه مثل بلاط جده السلطان محمود الغزنوى يضم كثيراً من العلماء والشعراء الكبار جعل سنائى كتاب الحديقة باسمه وقد قضى بهرا مشاه وقتاً كبيراً من حياته فى الجهاد فى بلاد الهند حتى توفى عام ٥٤٨هـ.

أنظر: عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد سوم، از غزنويان تا انقراض صفويه، صـ٤٨، ٤٩، چاپ پنجم، تهران سال ١٣٧٣.

كما قال عنه "على اكبر دهخداً أنه وصل إلى الحكم عام ٥١٢هـ، وتوفى عام ٥٤٧هـ لقب بيمين الدولة، قاد جيوش الغزنويين الى الهند مرتين حارب محمد هليم فهزمه واودعه السجن، ثم دخل فى حروب ضد الغوريين، هزم فى تلك الحروب قطب الدين محمد الغورى وسيف الدين السورى، كان بهرامشاه محبا للأدب والأدباء، اشتهر فى بلاطة ثلاثة من الشعراء الكبار هم سيد حسن الغزنوى وسنائى الغزنوى، ومسعود سعد.

على أكبر دهخداً، لغت نامه: جلد سوم، صـ٤٤٤١، چاپ اول، تهران سال ١٣٧٢.

[٤] داريوش صبور: دكتر آفاق عزل فارسى، پژو هشتى انتقاوى در تحول غزل وتغزل از آغاز تا امروز، صـ١٨٧، ١٩٠، چاپ دوم، تهران سال ١٣٧٠.

ويقول "اعلاخان أفصح زاد" عن سنائى الغزنوى: "بدأ سنائى نظم الغزل الصوفى قبل الشعراء جميعاً حيث أدخل فى الغزل المضامين العرفانية، حيث أورد فى غزلياتـــه نقداً لعالم المادة، واصبحت خمرياته سنة من جاء من بعده من شعراء الغزل"[٥].

كذلك يعتبر سنائى أول مبتكر للأشعار القلندرية فى الغزل الفارسى، وكان لهـــذا الابتكار كما يقول الدكتور "داريوش صبور" التأثير العميق على الغزل الفارسى من بعد سنائى، وقد اتضح هذا الأسلوب تماماً فى غزليات العطار، العراقى، حافظ[٦].

وفى غزليات سنائى ظهرت جذور العشق الإلهى بجانـــب العشـــق العـــذرى[٧]، ويقصد بالعشق الإلهى محبة الله بكل اخلاص [٨] والعشق هو النار التى تقع فى القلـــب وتحرق المحبوب، وهو أهم ركن فى الطريق الصوفى، يدرك هذا المقام فقط الإنســـان الكامل الذى يكون قد طوى المراتب والمنازل[٩].

وقد بيّن سنائى أيضاً أن العشق الإلهى بحر محيط، وماء هـــذا البحـــر كالنـــار، أمواج ذلك البحر مرتفعة كالجبال، ووسط مياهه تماسيح متناحرة، وعلى شواطئه ثعابين مخيفة، سفينته من الأحزان، ومرساها الصبر، وشراعها الطوفان، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

---

[٥] اعلاخان افصح زاد: نقد وبررسى آثار وشرح احوال جامى، صـــ٣٤٠، چاپ اول، چاپ تهران سال ١٣٧٨.

[٦] الأشعار القلندرية لها مضامين خاصة أهمها تلك التى تدعو إلى عدم التعلق بالدنيا والتحرر فيها، كما تحس الإنســـان على أن ألا ينشغل إلا بالمعشوق الأزلى، ولا ينشغل بشئ سواه، كما تظهر فى تلك الأشعار الدعوة إلى الإعراض عن القواعد الدينية والتعاليم الصوفية، كما أن للأشعار القلندرية مصطلحات خاصة مثل خرابات، ميخانه، ميكـــده، وبعض المصطلحات الزردشتيه والمسيحية مثل زنار، مغ وغيرها.

[٧] آفاق غزل فارسى، من صـــ١٨٧ إلى صـــ١٩٠.

[٨] شرف الدين حسين بن الفتى تبريزى، رشف الألحاظ فى كشف الالفاظ فرهنگ نمادهاى عرفانى در زبان فارسى، به تصحيح وتوضيح نجيب مايل هروى، صـــ١٠، چاپ دوم، چاپ تهران سال ١٣٧٧.

[٩] سيد جعفر سجادى، فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفانى، صـــ٥٨٠، چاپ چهارم، چاپ تهران سال ١٣٧٨.

عشق دریای محیط وآب دریا آتشست	
	موجها آید که گویی کوههای ظلمتست
در میان لجه اش سیصد نهنگ داوری	
	برکران ساحلش صد اژدهای هیبتست
کشتیش از اندهان ولنگرش از صابری	
	باد بانش رو نهاده سوی باد آفتست[١٠]
والترجمة	
العشق بحر محيط وماء ذلك البحر نار	
	ترتفع أمواجه فتتخيلها جبالاً مظلمة
وسط مياهه ثلاثمائة تمساح متربصة	
	وعلى شاطئ ساحله مائة ثعبان مخيف
سفينته من الأحزان ومرساها من الصبر	
	وشراعها متجه نحو الطوفان

نصيب فن الغزل فى ديوان سنائى الغزنوى:

احتلت الغزليات مساحة كبيرة من ديوان سنائى، حيث بلغت ٤٦٦ غزليـــة، وقـــد وردت من صـــ٣٤٥ إلى صـــ٥١٤ على أساس الطبعة التى اعتمدت عليها فـــى هـــذا البحث، وهى التى قدم لها بديع الزمان فروزانفر ونشرها عام ١٣٧٥.

والجدير بالذكر فإن أشعار سنائى نالت اهتمام الباحثين فـــى مجـــال الدراســـات الفارسية فى مصر، من أهم هذه الدراسات الدراسة التـــى اعـــدها الـــدكتور "إبـــراهيم

[١٠] حكيم سنائى غزنوى، مقدمه، شرح زندگى وشيوهٔ سخن سنائى به قلم استاد بديع الزمان فروزانفر، به اهتمام پرويز بابايى، چاپ تهران سال ١٣٧٥، غزليات، صـــ٣٥٦، **وهى الطبعة التى اعتمدت عليها فى هذا البحث.**

الدسوقى شتا"، والتى تناولت مثنوى حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة، ونشرها بالقاهرة عام ١٩٩٥م[١١].

أما العشق فى غزليات سنائى الغزنوى فلم يخصه أحد بدراسة، لذلك رأيت أن اعرضه فى هذه الدراسة، لتوضيح ما قيل عن تحول سنائى عن العشق العذرى إلى العشق الإلهى وذلك لإبراز فكر الحكيم سنائى الغزنوى عن العشق، ودراسة الفرق بين أشعار النوعين.

وسوف تتضمن هذه الدراسة ما يلى:

١-العشق العذرى فى غزليات سنائى الغزنوى.

٢-العشق الإلهى فى غزليات سنائى الغزنوى.

٣-النتائج.

٤- المصادر والمراجع.

---

[١١] إبراهيم الدسوقى شتا، دكتور، حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة لسنائى الغزنوى، ط١ القاهرة، عام ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١- العشق العذرى فى غزليات سنائى:

وجدت فى غزليات سنائى غزليات العشق العذرى وذلك لأن سنائى كان قد نظم الغزليات العذرية فى بداية شبابه كسائر شعراء عهده[١٢].

كما اتضح أن سنائى حتى فى غزلياته التى تحدث فيها عن العشق العذرى كانت تبدو عليه شخصية الحكيم والناصح، كما أن غزلياته التى نظمها فى العشق العذرى فى المرحلة الأولى من حياته كانت تكتنفها روح البساطة مثل الغزليات العذرية فى القرنين الرابع والخامس الهجريين[١٣].

سنائى يبين حال العاشق ويشكو من الألم الذى يقع عليه فى العشق، ويطلب من المعشوق تخفيف الآلام التى تقع على العاشق من وقوعه فى عشق معشوقة، بمعنى أن الشكوى من المعشوق هى التى تميز غزليات سنائى العذرية عن غزلياته التى نظمها فى العشق الإلهى قال سنائى فى إحدى غزلياته:

غريب وعاشقم برمن نظر كن	
	به نزد عاشقان يك شب گذر كن
ببين آن روى زرد وچشم گريان	
	زبد عهدى دل خود را خبر كن
ترا رخصت كه داد اى مهر پرور	
	كه جان عاشقان زير وزبر كن
نه بس كار يست كشتى عاشقان را	
	برو فرمان بر وكار دگر كن
سنايى رفت وباخود برد هجران	

---

[١١] آفاق غزل فارسى صـ ١١٨.

[١٢] آفاق غزل فارس، صـ ١٩٠.

	تونامش عاشق خسته جگر كن
وليكن چون سحر گاهان بنالد	
	ز آه او سحر گاهان حذر كن[١٤]
والترجمة:	
أنظر إلى أنا الغريب العاشق	
	وطف بالعشقين ذات ليلة
وانظر إلى ذلك الوجه الشاحب والعين الباكية	
	ولتدرك ما أصاب قلبى من سوء عهد
من أعطاك يا ربيب العشق	
الأذن بأن تقلب أرواح العاشقين رأساً على عقب	
ألا يكفيك قتل العاشقين	
فأمضى وامتثل للأمر وافعل معه أمراً آخراً	
لقد انقضى سنائى وولى حاملا الهجران	
	فاسمه العاشق الولهان
ولكنه حينما يتأوه بالاسحار	
	فحذر الساهرين من آهاته

ظهر بوضوح فى الغزلية السابقة الشكوى من المعشوق العذرى، وهذا يدلنا على أن سنائى كان قد نظمها فى مرحلته الأولى من حياته قبل تحوله إلى النظم فى العشق الإلهى.

وبلغة الحكيم الناصح يوجه سنائى النصائح للمعشوق كى يخفف آلام عاشقه بسبب هجره له قال مظهرا شكواه من معشوقه فى إحدى غزلياته:

اى باد به كوى او گذر كن	

[١٤] ديوان سنائى غزنوى، غزليات، صـ٤٧١.

	معشوق مرا زمن خبر كن

بادلبر من بگو كه جانا	
	در عاشق خود يكى نظر كن
چوبى كه زهجر توبود خشك	
	از آب وصال خويش تركن
صد دفتر هجر حفظ كردى	
	يك صفحة زوصل هم زبر كن
ور نيك نمى كنى به جايم	
	بيامن صنما تو سر به سر كن[١٥]
والترجمة:	
أيتها الريح اعبرى إلى محلته	
	واخبرى معشوقى عنى
وتحدثى مع معشوقى وقولى أيها الحبيب	
	انظر لعاشقك ولو مرة واحدة
الجذع الذى كان يابساً بسبب هجرك	
	اجعله بماء وصالك غضا نضراً
ان كنت قد حفظت مائة كتاب فى الهجر	
	فلتحفظ صفحة واحدة من الوصال
فلولا تفعل الخير لى أيها الحبيب	
	توافق معى على أقل تقدير

[١٥] ديوان سنائى ، غزليات، صـ٤٧٠.

وهذه الشكوى من المعشوق العذرى بينت أن سنائى نظم هذه الغزلية فى المرحلة الأولى من حياته، وعن معاناة العشق العذرى أوضح سنائى أن الفتى الذى لا يذوق معاناة وآلام العشق العذرى لا يكون فتى مطلقاً، كما أشار إلى أن بداية العشق العذرى حلاوة ومتعة ونهايته تكون ألماً ومشقة، كما وصف العشق العذرى بأنه نار فى القلب ودمع فى العين، قال سنائى فى احدى غزلياته:

چون درد عاشقى به جهان هيچ درد نيست	
	تادرد عاشقى نچشد مرد مرد نيست
آغاز عشق يك نظرش با حلاو تست	
	انجام عشق جزغم وجز آه سرد نيست
عشق آتشى ست در دل وآبى ست در دوچشم	
باهر كه عشق جفت ست زين هردو فرد نيست	
شهدست باشرنگ ونشاطى ست با تعب	
	داروى درد ناكست آنرا كه درد نيست[١٦]
والترجمة:	
ليس فى الدنيا ألم مثل ألم العشق مطلقاً	
ولكن إن لم يذق الفتى ألم العشق لا يكون فتىً	
بداية العشق تكون نظرة مع استحسان	
ونهاية العشق لا تكون إلا الألم والآهات	
العشق نار تكون فى القلب والدموع التى تكون فى العين	
على كل فإن العشق والنار زوجان لا ينفصلان كلاهما عن الآخر	

[١٦] ديوان سنائى ، غزليات، صـ٣٦٦.

وهو حلو بمرارة ونشاط مع تعب	
	وهو دواء لذلك المريض الذى ليس به ألم

أظهر سنائى فى هذه الغزلية المعاناة التى يجدها العاشق فى العشق العذرى، هذا الأمر أوضحه الدكتور "داريوش صبور" حيث بين أن العاشق فى العشق العذرى يعانى من المعشوق، وتظهر شكواه منه، ظهر ذلك فى غزليات سنائى[١٧]، فى إحدى غزلياته:

رو رو كه دل از مهر تو بدعهد گسستيم	
	وز دام هواى تو بجستيم وبرستيم
چونان كه تو از صحبت ما سير شدستى	
	ما نيزهم از صحبت تو سير شد ستيم
ازتف دل وآتش عشقت برهيديم	
	درسايهٔ ديوار صبورى بنشستيم[١٨]
والترجمة:	
اذهب اذهب لأننا منعنا القلب عن حبك يا ناقض العهد	
	ونجونا وتخلصنا من شرك هواك
إن كنت مللت من مرافقتنا	
	فقد مللنا نحن أيضاً
وتخلصنا من حرارة ونار عشقك	
	وجلسنا فى ظل جدار الصبر

[١٧] آفاق غزل فارسى، صـ١٩٥.

[١٨] ديوان سنائى ، غزليات، صـ٤٥٢، وأنظر آفاق غزل فارسى، صـ١٩٥.

اتضح لنا مما سبق أن من خصائص الغزليات عند سنائى الغزنوى وضوح الشكوى من المعشوق، كذلك أظهار المعاناة التى يعانيها العاشق فى العشق العذرى.

وعن المعاناة فى العشق العذرى بين سنائى فى الغزلية التالية أن معاناة العشق العذرى عذاب وألم للعاشق، لذلك نصح كل من يستطيع أن يبتعد عن العشق العذرى فليفعل، قال سنائى:

عاشق مشوید اگر توانید	
	تادرغم عاشقی نمایید
این عشق به اختیار نبود	
	دانم که همین قدر بدا نید
هرگز مبرید نام عاشق	
	تادفتر عشق بر نخوانید
آب رخ عاشقان مریز ید	
	تا آب زچشم خودنرا نید
معشوقه وفا به کسی نجوید	
	هرچند زدیده خون چکانید
اینست رضای او که اکنون	
	برروی زمین یکی نمانید
اینست سخن که گفت آمد	
	گرنیست درست برمخوانید
بسیار جفا کشید آخر	
	او را به مراد او رسانید
اینست نصیحت سنایی	

	عاشق مشويد اگرتوانيد[١٩]
والترجمة:	
لو تستطيعون فلا تصيروا عشاقا	
	حتى لا تظلوا فى غم العشق
اعلم كما أنكم تعرفون بالتأكيد	
	بأن العشق لم يكن اختياراً
لا تذكروا اسم العاشق مطلقاً	
	ما لم تقرءوا كتاب العشق
لا تجعلوا العشاق يذرفون الدمع من العيون	
	طالما لا يسيل الدمع من عيونكم
لا تطلب المعشوقة الوفاء من أحد	
	حتى وإن ذرفت من العين
ورضاها وكل منا ها الآن	
	ألا يبقى أحد على وجه الأرض
هذا النظم الذى نظمته	
	لا تهتموا بقراءته لو لم يكن صحيحاً
وقد تتحملون جفاء كثيراً أخراً	
	لتصلوا إلى المراد منه
هذه نصيحتى لك يا سنائى	
	أن تستطع فلا تكن عاشقاً

[١٩] ديوان سنائى ، غزليات، صـــ٤٠٢.

إن العاشق يعانى من معشوقه ويقضى لياليه فى ألم وتعب ومشقه، كما أن العاشق حينما يفتقد المعشوق فى أى ليله من الليالى فإنه لا يحسب تلك الليله من عمره، وحينما يغيب المعشوق عن العاشق فى أى ليله وهو بالنسبه له القمر المنير فإن العاشق يكون رفيقه فى تلك الليله قمر السماء وتكون تلك الليلة أكثر الليالى غما وحزناً بالنسبة للعاشق قال سنائى فى إحدى غزلياته:

بر من از عشقت شبيخون بود دوش	
	آب چشمم قطرهٔ خون بود دوش
در دل ازعشق تو دوزخ می نمود	
	در کنار از دیده جیحون بود دوش
ای توا نگر همچو قارون از جمال	
	عاشق ازعشق تو قارون بود دوش
ای به رخ ماه زمین بی روی تو	
	مونس من ماه گردون بود دوش
بی تو دوش از عمر نشمردم همی	
	کز شمار عمر بیرون بود دوش
چون شب دوشین شبی هرگزمباد	
	کزهمه شبها غم افزون بود دوش[٢٠]
والترجمة:	
بسبب عشقك كانت ليلة أمس عليَّ ليلة دامية	
	فكانت دموعى ليلة أمس قطرات دامية
وتأجيث النار فى قلبى بسبب عشقك	

[٢٠] ديوان سنائى ، غزليات، صـ٤٢١.

	وسالت دموعى غزيرة وكأنها جيحون
أيها الغنى المزين بالجمال مثل قارون	
كان العاشق ليلة أمس بسبب عشقك مثل قارون	
يا من أنت قمرى الوجه، افتقدت وجهك على الأرض	
وكان رفيقى ليلة أمس قمر الفلك على الأرض	
ولأنى أفتقدتك ليلة أمس فإنى لم أحسبها من العمر	
	وكانت ليلة أمس خارج حساب العمر
ادع الله ألا تأتى ليله أخرى مثل البارحة	
لأن الليلة الماضية كان غمها أكثر من غم كل الليالى	

أتضح من هذه الغزليات التى نظمها سنائى فى العشق العذرى أنه كان يعالج فيها معاناة العاشق بطريقة الحكيم الناصح المحذر من الوقوع فى ملذات الدنيا، حيث بين أن المعشوق الدنيوى يتزين بالجمال والزينة مثل قارون، الأمر الذى يجعل العاشق يتزين بزينة دنيوية مثله، ولعله يريد معنى قوله الله عز وجل: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِى قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" {سورة القصص/٧٩}.

والمعشوق لا يهتم بالعاشق فى العشق العذرى والعاشق اشترى العشق من المعشوق بروحه، والمعشوق لم يشتر ذلك العشق بشئ، كما أن العشق لم يغب لحظة عن ذاكرة العاشق ولكن المعشوق لم يهتم بالعاشق، والعاشق يصيبه الاضطراب فى نومه طالما يعانى من عشق معشوقه، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

در عشق تو اى نگار خاموش	
	بفزود مرا غمان وشد هوش

من عشق ترا به جان خريدم	
	تو مهر مرا به ياوه مفروش
هرگز نشود غمت ز يادم	
	تونيز مرا مكن فراموش
شد خواب زچشم من رميده	
	تاهست غم توام در آغوش[٢١]
والترجمة:	
أنا أموت فى عشقك أيتها الحسناء	
	وزادت آلامك علىَّ وأصبحت قاتلة
لقد اشتريت عشقك بالروح	
	أما أنت فلم تشترى عشقى بشئ
لم يغب عشقك عن ذاكرتى مطلقا	
	لذا يجب عليك ألا تنسينى
لقد جفا النوم مقلتى	
	طالما عشقك يحتوينى

وبذلك استطاع سنائى أن يوضح الشكوى من المعشوق العذرى، بطرق متعددة فى غزلياته قبل تحوله إلى نظم غزليات فى العشق الإلهى، ولعل هذه الشكوى التى أظهرها سنائى فى غزلياته العذرية والتى كان قد نظمها قبل تحوله إلى نظم غزليات فى العشق الإلهى هى إحدى خصائص غزلياته العذرية.

[٢١] ديوان سنائى ، غزليات، صـ٤٢٢.

٢-العشق الإلهى فى غزليات سنائى الغزنوى:

من يتمعن أشعار سنائى الغزنوى يتبين أنه كان له أسلوبان فى أشعاره ارتبطاً بمرحلتين من حياته، ففى المرحلة الأولى من حياته كان سنائى شاعر بلاط تأثر بالأساتذه من شعراء الفارسية من قبله أمثال العنصرى والفرحى، فقد وردت التغزلات اللطيفة والتشبيبات المثيرة فى مقدمة قصائده.

أما المرحلة الثانية من حياة الشاعر، وهى مرحلة التغيير فقد اتجه فيها الشاعر إلى أفكار جديدة تمثلت فى الفكر الدينى والعرفانى[٢٢].

كما أن سيرة سنائى دلت على أنه اتجه نحو المعانى العرفانية والأخلاقية فى أشعاره[٢٣].

ومع ظهور التحول، والذى كان فى النصف الثانى من حياته الشعرية ظهر بوضوح الفرق الكبير فى أسلوب أفكاره فى الغزليات، وبفكر ورؤية سنائى الغزنوى فتح للغزليات الفارسية طريقاً جديداً فى التغيير، لأن التغيير كان فى المضامين البسيطة التى كانت قد نظمت فى الغزليات العذرية، هى نفسها أستخدمت فى غزليات عرفانية ذو عظمة ومهابة، وظهر فيها شوق ووجد العشق الإلهى[٢٤].

وفى اعتقادى أن سنائى لم يتحول إلى العشق الإلهى عندما نظم غزليات فيه مرة واحدة، بل كان التحول تدرجياً يوماً بعد يوم، فقد أخذ سنائى يغير من فكرة فى الغزليات حتى أوجد لغزلياته فكراً جديداً ابتعد به عن أفكار الغزليات العذرية، مثل قوله فى الغزلية التالية، والتى يبدو أنه نظمها فى بداية تحوله إلى نظم غزليات فى العشق الإلهى قال سنائى:

---

[٢٢] صفا تاريخ ادبيات إيران، جلد دوم چاپ چهاروم،صـ ٥٦٥، ٥٦٦.

[٢٣] غلام حسين يوسف، دكتر، چشمه روشن ديدارى باشاعران، صـ ١٣٠ ، چاپ هشتم تهران ١٣٧٧ جلدوم، چاپ چهارم.

[٢٤] آفاق غزل فارس، صـ ١٩٠، ١٩١.

ای سنابی خواجگی باعشق جانان شرط نیست
جان اسیر عشق گشته دل به کیوان شرط نیست
رب ارنی برزبان راندن چو موسی وقت شوق
پس به دل گفتن انا الاعلی چو هامان شرط نیست
از پی عشق بتان مردانگی باید نمود
گرچون زن بی همتی پس لاف مردان شرط نیست
چون انا الله دربیابان هدی بشنیدای
پس هراسیدن زچوبی همجو ثعبان شرط نیست
از پی مردان اگرخواهی که در میدان شوی
صف کشیدن گرداو بی گوی وچو گان شرط نیست
چون جمال یوسفی غایب شده است از پیش تو
پس نشستن ایمن اندر شهر کنعان شرط نیست
ورهمی دعوی کنی گو بی که ای صبر جمیل
پس فغان وزاری اندر بیت احزان شرط نیست
چون همی دانی که منزلگاه حق جز عرش نیست
پس مهار شترکشیدن دربیابان شرط ینست[٢٥]
والترجمة:
يا سنائي ليس شرطا أن تكون السيادة بعشق الأحباب
ولو أصبحت الروح أسيرة للعشق، ليس شرطاً أن يظل القلب أسيراً لزحل
رب ارزقني المناجاه مثل موسى يوم الاشتياق
ثم القول في نفسي أنا الأعلى وليس شرطاً أن أكون مثل هامان

[٢٥] ديوان سنائي، غزليات، صـ ٣٧٥.

يجب أن تظهر الرجولة من أجل عشق الحسان
وإذا كنت ضعيفاً كالمرأة فليس شرطاً الرجولة المزيفة
ولأنك سمعت أنا الحق فى صحراء الهدى
ليس شرطاً أن تخاف من العصا مثل الثعبان
ولوتريد أن تصير فى الميدان مع الرجال
فاصطف حوله وليس شرطا أن تكون بلا كرة وصولجان
ولو تدعى أنك تقول صبر جميل
فليس شرطا أن تكون الشكوى والألم فى بيت الأحزان
ولأن جمال يوسف أصبح غائباً من أمامك
فليس شرطاً أن تجلس مطمئناً بعد ذلك فى مدينة كنعان
ولو تعرف أن مكانة الحق لا تكون إلا العرش
فليس شرطاً أن تجر زمام جمل فى صحراء

أ-العشق الإلهى هداية للقلب والروح:

كان سنائى الغزنوى يتحول من العشق العادى إلى العشق الإلهى، لهذا كان يشرح معانى العشق الإلهى فى صورة تعاليم ووصايا، ففى الغزلية التالية والتى بدأها بحرف النداء، بيَّن سنائى للعاشق فى الحب الإلهى أن طريق العشق الإلهى لا شكوى فيه، كما أن ذلك الطريق لا نهاية له، كما أن المعاناه فيه ليست لها نهاية أيضاً، لذلك أوصى سنائى العاشق بأن يجتهد فى العشق الإلهى جهداً كبيراً، لأن رغبة القلب تصبح محققة من العمل الجاد، وبيَّن سنائى للعاشق أيضا أن يعمل دائماً بتلك النصائح ويجعلها فى خاطره، كما أوضح سنائى للعاشق أن العشق الإلهى يمنح شرف الولاية فى الحياة، والشخص الذى ليس فى قلبه عشق إلهى، ليس فى قلبه وروحه هداية، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

ای پسر عشق راشکایت نیست	
	در ره عاشقی نهایت نیست
اگرت عشق هست شاکر باش	
	که به عشق اندرون شکایت نیست
گر بنالی زحال عشق ترا	
	علت عاشقی به غایت نیست
جهد کن جهد تا به عشق رسی	
	کانـــچـــه گفتم ترا کفایت نیست
زعمل کام دل شود حاصل	
	دردرا نزدمن حکایت نیست
چون وصیت کنم به عشق ترا	
	که مرا نوبت وصایت نیست
عشق مارا ولایتی داد ست	
	که کسی راچنان ولایت نیست
رایت خیل عشق فعل بود	
	عشق را نزد فعل رایت نیست
هرکرا عشق نیست در دل وجان	
	دردل وجان او هدایت نیست[٢٦]
والترجمة:	
بابنی لا شکوی فی العشق	
	ولا نهایة فی طریق العشق

[٢٦] دیوان سنائی، غزلیات، صـــ٣٦٦.

إن كنت صاحب عشق فلتكن شاكراً	
	إذ لا شكاية فى مضمار العشق
إن كنت تعانى من حال العشق	
	فلتعلم بأن معاناة العشق ليس لها نهاية
فاجتهد جهداً كبيراً حتى تصل إلى العشق	
	فليس فيما قلته لك كفاية
مراد القلب يصبح محققاً بالعمل	
	وليس لدى حكاية عن مكابدة العشق
كيف أوصيك بالعشق	
	ولم تتحقق لى نوبة الوصاية
لأن العشق منحنا ملكاً	
	ليس لأحد مثله
كان العمل راية خيل العشق	
	ولا راية للعمل لدى العشق
وكل من خلا قلبه وروحه من العشق	
	فلا هداية فى قلبه وروحه

أتضح من الغزلية السابقة والتى نظمها سنائى فى العشق الإلهى الفرق الكبير فى أسلوب أفكاره عن العشق الإلهى، وخاصة عما يدور بين العاشق والمعشوق، حيث بين أن العشق الإلهى يمنح ملكا ليس لأحد مثله بينما كان يحذر العاشق فى العشق العذرى من الوقوع فى عشق المعشوق لما يعانيه من شكوى وألم يسببها العشق العذرى للعاشق.

ومن الدلالات العرفانية فى هذه الغزلية التى أراد سنائى أن يبينها للسالك فى العشق الإلهى، الألم حيث ذكر لفظ (درد، وهى تعنى الألم، والمقصود بألم العشق الإلهى البلاء والمصائب إلى تنشأ عن البعد عن الحق، لأنها تصف الخزلان المحض عن البعد عن الله، وذلك لأن القرب من الحق يوجب التطهر من المعاصى)[٢٧].

وقد فسر العطار الألم الذى يكون فى العشق الإلهى بأنه هو نفسه العلاج للعاشق فى العشق الإلهى، قال العطار[٢٨]:

من كه درد عشق در جان منست	
	وى عجب اين درد درمان منست
والترجمة	
إن ألم العشق الذى أشعر به فى بدنى	
	ياللعجب إنه هو نفسه علاج لبدنى

كما فسروا الألم بأنه الحالة التى تظهر من المحبة الإلهية، والمحب لا يستطيع أن يتحمل قوتها[٢٩].

ب - التمييز بين التصوف والفقه :

كان سنائى يشرع للعشق الإلهى لذلك أراد أن يميز بين علم التصوف وعلم الفقه عندما تحدث عن العشق الإلهى.

أطلق الصوفية على علمهم تسميات خاصة، فعرف علمهم بعلم الباطن وبعلم الحقيقة وبعلم الدراية، ويقوم علمهم على الترقى فى الطريق الصوفى من ذوق إلى ذوق،

---

[٢٧] فرهنگ عرفانى، صـ ٣٨٣.

[٢٨] سهيلا صارمى، دكتر مصطلحات عرفانى ومفاهيم برجسته در زبان عطار، صـ ٢٧٦، چاپ اول تهران سال ١٣٧٣.

[٢٩] فرهنگ نمادهاى عرفانى در زبان فارس، صـ ٨٨.

وأطلقوا على الأعمال الباطنة أعمال القلوب وهى المقامات والأحوال مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والاخلاص والمعرفة والمحبة والرضا والذكر والشكر، فعلم الباطن يراد به عند الصوفية أعمال الباطن التى هى على الجارحة الباطنة وهى القلب، فالصوفية حينما يسمون علمهم بعلم الدراية أو الباطن أو ما شابه ذلك من تسميات، فإنهم يميزون بين علم نظرى خاص بالأحكام وعلم بكيفية التحقق بها ذوقا وسلوكاً، فالأول هو الفقه أو الظاهر والثانى هو التصوف أو الباطن، بمعنى أن العلم الأول تجرى أحكامه على جوارح الإنسان الظاهرة على حين أن العلم الثانى تجرى أحكامه على الجارحة الباطنة فى الإنسان، وهى القلب، ولذلك اعتبر الصوفية أن علمهم فى يقينه أسمى من سائر العلوم التى تعتمد على العقل وبراهينه ولذلك يعرف عندهم بحق اليقين وهذا اليقين الذى تتميز به علومهم عيانى أو كشفى ذوقى يتحقق به العبد متى سلك طريقهم، وقد بيّن ذلك الطوسى فأشار إلى أن علوم الصوفية لا حد لها، على حين أن علوم الفقهاء محدودة، لأن علم التصوف ليس له نهاية، لأنه إشارات وبوادر وخواطر وعطايا وهبات يغرفها أهلها من بحر العطاء وسائر العلوم لها محدود، وعلم التصوف ليس له نهاية وهو علم الفتوح يفتح الله به على قلوب أوليائه فى فهم كلامه ومستنبطات خطبة ما شاء كيف شاء[٣٠].

لذلك أشار سنائى إلى تلك القضية فى إحدى غزلياته وبين أن العشق الإلهى لم يدرسه أبو حنيفة، كما لم يرد للشافعى فيه رواية، والعشق حى بدون بقاء وفناء، ولا شكوى فيه من العشاق قال سنائى:

عشق در عقل وعلم درماند	
	عشق را عقل وعلم رايت نيست
عشق را بوحنيفه درس نكرد	

(٣٠) أبو الوفا الغنيمى التفتازانى، دكتور، مدخل إلى التصوف الإسلامى صـ٩٧، ٩٨، ٩٩، ط القاهرة ١٩٧٩م.

	شافعى را دراو روايت نيست
عشق حى است بى بقاوفنا	
	عاشقان را ازو شكايت نيست[٣١]
والترجمة:	
أصيب العشق بالعجز فى العقل والعلم	
	فالعقل والعلم ليسا راية العشق
ولم يدرس أبو حنيفة العشق	
	وليس للشافعى فيه رواية
العشق حى بدون بقاء وفناء	
	ولا شكوى للعشاق منه

ومن الأبيات السابقة لسنائى يظهر لنا بوضوح تحول سنائى من الغزليات العذرية إلى الغزليات العرفانية التى تشرح جوهر العشق الإلهى، حيث بين أنه لا يكتسب بالدراسة والرواية، إنما يكتسب بالممارسة والرياضة، كما أن العشاق له لا يملون ولا يشكون منه.

كان سنائى أول من أدخل المضامين العرفانية فى الغزل الفارسى، ولكنها لم تكن واضحة تماماً كما يقول الدكتور "داريوش صبور"، ولكنها اتضحت تماماً فى أشعار شعراء العرفان الذين جاءوا من بعده[٣٢].

وفى اعتقادى أن سنائى كان يقدم تلك المضامين كتعاليم أخلاقية تعليمية، يقول سنائى فى البيتين التاليين من إحدى غزلياته:

---

[٣١] ديوان حكيم سنائى غزنوى، غزليات، صـ٣٦٦.

[٣٢] آفاق غزل فارس، صـ١٨٧ وما بعدها.

اندر دل من عشق توچون نور يقينست	
	برديدهٔ من نام توچون نقش نگينست
در طبع من وهمت من تا به قيامت	
مهر تو چو جنانست ووفایتوچو دينست[٣٣]	
والترجمة:	
عشقك فى قلبى مثل نور اليقين	
واسمك على عينى مثل النقش على فص الخاتم	
سيظل فى سجيتى وهمتى إلى يوم القيامة	
	عشقك مثل الجنان ووفاؤك مثل الدين

ج - وصف حال العاشق فى طريق العشق الإلهى:

سنائى الغزنوى شرع لشعراء الغزل الصوفى ظاهرة الهجوم على العشاق الذين يظهرون فى عشقهم الإلهى الآهات والدموع، ويقول الدكتور "داريوش صبور" مجموعة من شعراء الغزل أظهروا فى غزلياتهم بشأن أمر العشق والمعشوق الملامة فى الظاهر[٣٤].

وفى الغزلية التالية بين سنائى الغزنوى أنه يجب على سالك طريق العشق الإلهى الصدق وإلا سيكون من المنافقين والمرائين، كما أوضح سنائى أن السالك فى طريق العشق الإلهى ليس من الواجب عليه إظهار وجد عشقه، ولكن لو كان صامتاً صادقاً فهو ناطق وإن لزم الصمت، كذلك الآهات والدموع والوجه الشاحب، كل هذه الأمور لا تكون دليلاً على الصدق فى العشق الإلهى، كما بين سنائى أن من أظهر السكر فى سلوك العشق الإلهى وتظاهر به فهو خارج نطاق العشق الإلهى المقبول عند

---

[٣٣] ديوان سنائى، غزليات صـ٣٧٤.

[٣٤] آفاق غزل فارسى، صـ٣١١.

الله،وأوضح سنائى أن من دخل فى سلوك العشق الإلهى لا يرجع عنه ولا يتوب منـــه، لأن العشق الإلهى يحيى القلب.

هر كه در راه عشق صادق نيست	
	جز مرايى و جز منافق نيست
آنكه در راه عشق خاموش ست	
	نكته گويست اگرچـــه ناطق نيست
نكتهٔ مرد فكرتست ونظر	
	وندر آن نكته جز دقايق نيست
آه سرد وسر شگ وگونه زرد	
	هرسه در عشق بى حقايق نيست
هركه مست از شراب عشق بود	
	احتسابش مكن كه فاسق نيست
توبه از عاشقان اميد مدار	
	عشق وتوبه بهم موافق نيست
دل به عشق ست زنده درتن مرد	
	مرده باشد دلى كه عاشق نيست
ورسنايى نه عاشق ست بگو	
	سخنش باطلست ولايق نيست[٣٥]
والترجمة:	
من لا يكون صادقاً فى طريق العشق	
	لا يكون إلا مرائياً أو منافقاً

[٣٨] ديوان سنائى، غزليات صـــ٣٧٥، ٣٧٦.

ومن يكون صامتاً فى طريق العشق	
فهو ناطق بالحكمة وإن لزم الصمت	
قيمة الإنسان فى فكرة وحسن نظرته	
	وليس فى تلك القيمة إلا دقائق الخصال
الآهه الخامدة والدمعة وشحوب الوجه	
هذه الأمور الثلاثة لا تفسير لها فى مضمار العشق	
وكل من سكر من شراب العشق	
	لا تحسبه خارجا عن الفسق
ولا تأمل فى التوبه من العاشقين	
	لأن العشق والتوبه لا يتوافقان معاً
والقلب فى جسد الإنسان يحيا بالعشق	
	وأى قلب لا يكون عاشقا يكون ميتاً[٣٦]
ولو أن سنائى ليس بعاشق فقل	
	إن حديثة باطل وغير مقبول

ومن الغزلية السابقة تبين لنا نظرة سنائى للعشق الإلهى، حيث بين أن الإنسان يحيا به حياة سعيدة وأى قلب لا يكون عاشقاً عشقاً إلاهياً لا يكون حياً، بينما كان سنائى فى غزلياته العذرية يحذر القلب من الوقوع فى شرك العشق العذرى.

ومن الدلالات العرفانية التى أراد أن يبرزها سنائى الغزنوى فى الغزلية السابقة السكر بشراب العشق الإلهى، والسكر عند الصوفية عبارة عن ترك القيود الظاهرة والباطنه والتوجه إلى الحق، كما يعنى السكر عند بعضهم رفع التميز بين الأحكام الظاهرة

[٣٦] نقل التفتازانى عن ابن الفارض أن حب الله هو الحياة، أى أن هذا الحب هو اسمى عاطفة فى الإنسان وكأنما خلق قلبه له، وأن اتصال القلب بمحبوبه وهو الله حياة لهذا القلب وانقطاعه عنه موت له، وعلى ذلك فالموت بالحب حياة، والحياة بدون حب موت، أنظر مدخل إلى التصوف الإسلامى، صـ٢١٨.

والباطنة بسبب اختطاف نور العقل فى أشعة نور الذات، وبيان ذلك أن أهل الوجد طائفتان، الطائفة الأولى محبى الذات ومنشأ وجد هؤلاء الذات، والطائفة الثانية محبى الصفات ومنشأ وجد هؤلاء عالم الصفات، ومقامات أهل الوجد أربعة هى الذهول والحيرة ثم السكر والصحو[٣٧].

أما شراب العشق فيراد به عند الصوفية غلبات العشق، وهو كناية عن محبة الحق ويكون أخص فى نهاية السلوك للطريق الصوفى[٣٨]، والملاحظ هنا أن سنائى الغزنوى كان متأثراً بفكر الملامتية الذين يلومون المتصوفة الذين يظهرون وجدهم وسكرهم الصوفى، بحيث أشار سنائى فى الغزلية السابقة إلى أن من يظهر مثل هذه الأمور لا يكون مخلصاً فى عشقه الإلهى، بل اتهمه سنائى بتهمة أكبر من ذلك وهى الفسق، لأن سنائى بين أن من لا يكون صادقاً فى طريق العشق الإلهى، لا يكون إلا مرائياً أو منافقاً وذلك لأن الصدق عند أهل العرفان الالتزام بالشريعة والحقيقة.

ويعنى السكر محو جميع الصفات الداخلية والخارجية للعاشق لأنه دخل فى سلوك العشق الإلهى، أما شراب العشق فيعنى غلبات العشق التى كانت تستوجب الملامة، وهذه صفة أهل الكمال، والتى تصل بهم إلى الوصال. [٣٩]

---

[٣٧] فرهنگ عرفانى، صـ ٤٦٩، ٤٧٠.

[٣٨] فرهنگ عرفانى، صـ ٤٩٨ إلى صـ ٥٠١.

[٣٩] فرهنگ عرفانى، صـ ٥٢٨

استدعاء القلندريات لوصف العشق الإلهى فى غزليات سنائى الغزنوى:

ظهرت القلندريات[٤٠] فى الغزل الفارسى متأثرة بالملامتية، والملامتية فرقة من الفرق الصوفية ظهرت فى خراسان فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى[٤١].

والقلندرية فرقة من الفرق الصوفية، ظهرت فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى وهى فرع من الملامتية[٤٢].

وكان من أهم تعاليم تلك الطريقة الصوفية إخفاء الكرامات والشوق والوجد وأحوال أهل الطريق الصوفى، ولذلك فإن الرقص والتمايل والسماع والخرقة الممزقة فى طريق هؤلاء لا وجود لها، لذلك كانوا يلومون الصوفية المتظاهرين بالكرامات، ولم يتضح أن أحداً قبل سنائى الغزنوى كان قد نظم أشعاراً قلندرية متأثرة بالملامتية يقول الدكتور "داريوش صبور" إن الشاعر "عين القضاه الهمدانى" والذى كان معاصراً لسنائى الغزنوى، وكان قد نظم مثل هذه الأشعار، قال إن سنائى الغزنوى هو أول من ابتكر الأشعار القلندرية المتأثرة بفكر فرقة الملامتية الصوفية، وأضاف قائلاً كان لهذا الابتكار التأثير العميق فى شعراء الغزل الفارسى الذين جاءوا من بعده، واتضح هذا الأسلوب، وصار أكثر نضجاً فى غزليات العطار والعراقى وحافظ[٤٣].

وقد كان لفرقة القلندرية أفكار استخدمها شعراء الغزل الصوفى، وكان سنائى أول من استخدم هذه الأفكار مثل الحديث عن الكفر والإيمان، وليس الكفر الحقيقى هو المقصود، وإنما يكنى بالكفر عن الإيمان الحقيقى، وكذلك ظاهرة هجوم شعراء الغزل الصوفى الفارسى على الزهد والتصوف، وادخال المصطلحات الزرد شتية والمسيحية، ففى الغزلية التالية لسنائى والتى اتضحت فيها مثل هذه الأفكار، فقد أوضح سنائى أن

---

(٤٠) قلندر، تعنى درويش مجرد وسياح ومتجول ولا ينتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية.

(٤١) أبو العلا عفيفى، دكتور: الملامتية والصوفية وأهل الفتوى، صـ١٠٣، ط القاهرة عام ١٩٤٥.

(٤٢) قاسم غنى: تاريخ تصوف در اسلام، صـ٦٢٨، چاپ تهران سال ١٣٤٠ش.

(٤٣) آفاق غزل فارسى، صـ١٩٣.

المعشوق مهد طريق العشق الصوفى للعاشق على نظام الطريقة القلندرية، فاشعل نـــار العشق الإلهى فى روح العاشق وعندما ذهب بالعاشق بطريق صلاح التدين، أقـــام لـــه بطريق المقامرين زاوية الصوفية، حيث المجون والزهد والكفر والإيمان والظلمة فـــى النور والخير فى الشر وجعل المعشوق قد العاشق معوجاً وعلقة فوق باب مثل الحلقة.

ثم أحرقه بنار الجحيم، وهى كناية عن نار العشق، ثم صب عليه ماء الكوثر ليطفـــئ بها نار الجحيم.

ودخل العاشق الصومعة من أجل السكر والهيام، والقى بالحيرة على الـــدراويش بسبب العشق، وفى الحانة كتب بماء الذهب أسم آذر، قال سنائى الغزنوى:

معشوق مرا ره قلندر زد	
	زان راه به جانم آتش اندر زد
گه رفت ره صلاح دين دارى	
	گه راه مقامران لنگر زد
رندى در زهد وكفر در ايمان	
	ظلمت در نور وخير درشر زد
خميده چو حلقه كرد قد من	
	وآنگاه مرا چو حلقه بردر زد
چون سوخت مرا برآتش دوزخ	
	وزآتش دوزخ آب كوثر زد
در صو معه پاى كوفت ازمستى	
	ابدال زعشق دست برسرزد

با آب عنب به صومعه درشد	
	در میکده آب زر برآذر زد(٤٤)
والترجمة:	
مهد المعشوق ليً طريقة القلندرية	
	وأشعل من تلك الطريق النار فى روحى
وكان أحياناً يمضى فى طريق صلاح التدين	
	وأحياناً يسلك طريق المقامرين
مزج المجون بالزهد والكفر بالإيمان	
	والظلمة بالنور والخير بالشر
وجعل قدًى معوجا كحلقة الباب	
وعندها طرق على جسدى كما يطرق الحلقة	
وعندما أحرقنى بنار الجحيم	
	فإذا به يحيل نار الحجم ماء الكوثر
ودخل الصومعة من أجل السكر	
	وتحير الدروايش بسبب العشق
ودخل إلى الصومعة بالخمر	
	وفى الحانة كتب بماء الذهب اسم آذر

تبين لنا من الغزلية السابقة أن من خصائص غزليات العشق الإلهى عند سنائى الغزنوى بعد تحوله إلى نظم غزليات العشق الإلهى، استخدامه للألفاظ القلندرية مثل خرابات، ميخانه، ميكده، زنار، مغ، كما أتضح أن فكره فى الغزليات القلندرية التى

(٤٤) ديوان سنائى، غزليات، صـ٣٩٨.

نظمها فى العشق الإلهى يقوم على أنه يجب على العاشق فى العشق الإلهى ألا ينشـــغل بشئ سوى ذات المعشوق الأزلى ولا يتقيد بالقواعد الدينية والرسوم الصوفية، وهذا يدل على تحوله، ويظهر لنا الفرق بين الغزليات التى نظمها قبل تحولـــه والغزليـــات التـــى نظمها بعد تحوله إلى التصوف والعرفان.

وقد أورد سنائى فى غزلياته كثيراً من الألفاظ والإشارات القلندرية قال فى إحدى غزلياته:

گهى رخ را نهاده برزمين پست	
	گهى نعره كشيده در سماوات
چنان گشتم زمستى وخرابى	
	كه نشناسم عبارات از اشارات
نه مطرب راشناسم ازمؤذن	
	نه دستان را شناسم از تحيات[٤٥]
والترجمة	
وضعت أحياناً الوجه فوق الأرض	
	وصرخت أحياناً أخرى نحو السماوات
هكذا أصبحت من السكر والهيام	
	لا اعرف العبارات من الإشارات
ولا اعرف المطرب من المؤذن	
	ولا افرق بين الترانيم وقراءه التشهد

وقد كان سنائى يضع قواعد الألفاظ والإشارات القلندرية فى الغـــزل الفارســـى، لذلك فقد جعل فى الغزلية التالية والتى أورد بها ألفاظاً قلندرية أن لحانات الشراب ملكاً، وطالما اتجه ذلك الملك إلى حانات الشراب فإن العاشق له يعتكف على الطريـــق التـــى

[٤٥] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٣٧١.

يمر بها كما أنه ينبغى على كل الخلق أن يقرءوا الخطبة الملكيـــة عنـــد ملـــك حانـــات الشراب، والعاشق لا يخشى على نفسه ألا تكون مستنيرة، لأن ملك حانات الشراب هـــو القمر المنير، ولو يعرف شيخ الصومعه هذا الكلام فإنه لابد وأن يصـــير عبـــداً عنـــد حانات الشراب، وأوضح سنائى أنه لا يقول إلا الكلام الصادق عنـــدما يتحـــدث عـــن الألفاظ والإشارات القلندرية، والشخص الذى يكون مثله فهو عاشق لحانـــات الشـــراب، ولا يكون الا بالصورة فقط، ولا هيئة ولا روح له، لأنه ألقى بهما فـــى ميـــدان ملـــك حانات الشراب، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

تاسوى خرابات شد آن شاه خرابات

همواره منم معتكف راه خرابات

من خود چـــه خطر دارم تابنده نباشم

چون شاه خرابات بود ماه خرابات

گر صومعهٔ شيخ خبريابد ازين حرف

حقا كه شود بندهٔ خرگاه خرابات

بشنو كه سنايى سخن صدق به تحقيق

آن كس كه چنو نيست هواخواه خرابات

اونيست بجز صورت بى هيئت بى روح

افگنده به ميدان شهنشاه خرابات[٤٦]

والترجمة:

طالما اتجه ملك الحانات نحو الحانات

فإنى أعتكف دوما بطريق الحانات

كيف أخشى على نفسى ألا تجد الضياء

وملك الحانات كان القمر المنير بالحانات

---

[٤٦] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٣٧٠.

ولو يعرف شيخ الصومعة هذا الكلام

حقا فإنه يصبح عبداً بمنزل الحانات

أسمع لأن سنائى يتحدث بكلام صدق محقق

لأنه لا يوجد إنسان مثله عاشقاً للحانات

وهو لا يكون إلا صورة دون هيئة أو روح

لأنه ألقى بهما فى ميدان ملك الحانات

يتضح لنا من الغزلية السابقة التحول الكبير الذى حدث لغزليات سنائى بعد تحوله إلى العرفان.

أما المعنى العرفانى الذى يريده سنائى فى هذه الغزلية فهو معنى لفظ الخرابات، والخرابات تعنى فى الشعر العرفانى تخريب الصفات البشرية وفناء الوجود الجسمانى، والخرابات تعنى الرجل الكامل الذى تصدر عنه المعارف الإلهية بدون اختيار، كما تعنى خراب الأوصاف النفسية والعادات الحيوانية وتخريب القوة الغضبية والشهوية والعادات والرسوم وتبديل الأخلاق المذمومة، كما تعنى الخرابات أيضاً مقام التوحيد والخرابات عند الجامى بمعنى مقام الفناء وباطن العارف[٤٧].

وسنائى الغزنوى أراد بهذه الغزلية أن يبين للعاشق فى العشق الإلهى أنه فى حانات الشراب يستطيع أن يصل إلى مرادة لأن نهاية هذه الحانات تعنى الوصول إلى مقام الذات، لأن السالك فى العشق الإلهى يجد أن كل الذوات ممحيه ومنطمسه فى ذات الحق الذى يرجع اليه الأمر كله، لذلك يبين سنائى أن شيخ الصومعة ويقصد به العابد حيث مكان العبادة، لو يعرف مضمون كلامه لصار عبداً حيث تكون حانات الشراب.

---

[٤٧] فرهنگ نمادهاى، صـ٦٢، عبد الرحمن بن أحمد جامى (نفحات الأنس فى حضرات القدس)، تصحيح وتقديم مهدب توحيد بور، صـ ٦٤٢، چاپ تهران سال ١٣٣٧.

العشق الإلهى انقطاع إلى الله :

الحب الإلهى أصبح موضوعا رئيسياً فى الشعر العربى بعد رابعة العدوية، فقد تغنى الصوفية بعدها به، واعتبروه مقاماً من مقامات السلوك أو حالاً من أحواله، ومن هؤلاء يحيى بن معاذ الرازى المتوفى ٢٥٨هـ، والذى ذكر عنه التفتازانى أنه أول من أعلن حبه لله فى شعر صحيح، ثم من بعده غلبت على الصوفية عاطفة الحب الإلهى فعبروا عنها فى أشعارهم تعبيراً فلسفياً، ويعتبر أبن الفارض أبرز صوفية العرب فى هذا الميدان وهو لم يعبر عن حبه إلا بالشعر[٤٨].

كما عبر سنائى الغزنوى عن حبه لله بالشعر أيضاً، وعندما تحول إلى التصوف حاول إبرازه فى غزلياته، فبين سنائى فى الغزلية التالية أن للعشق الإلهى طابعاً خاصاً لأنه حينما يدخل القلب ينقطع القلب إلى الله، ولا يعشق أى شئ فى الوجود سواه، وفى العشق الإلهى تختفى العبارة ويذوب اللفظ ولا يظهر الكلام والبيان، فى إشارة إلى أن للعشق الإلهى إشارات ورموزاً لا يعرفها إلا العاشق فى العشق الإلهى، وأوضح سنائى أن للعشق الإلهى قافلة قد عبرت الطريق إلى الله واختفت فى مراتب العشق الإلهى، كما بين سنائى أن المعاناة فى العشق الإلهى لا تستطيع السماء والأرض تحملها، لذلك يطلب سنائى من العاشق فى العشق الإلهى أن يدع كل ما فى الوجود ويتجه نحو طريق حانات الشراب فى الحب الإلهى، قال سنائى:

تا رقم عاشقى در دلم آمد پديد	
	عاشقى ازجان من نسبت آدم بريد
در صفت عاشقى لفظ وعبارت بسوخت	
	حرف وبيان شد نهان نام ونشان شد پديد
قافله اندر گذشت راه زما شد نهان	

[٤٨] مدخل إلى التصوف، الإسلامى، صـ٢١٢، ٢١٣.

	گشت زما منقطع هر كه به مادر رسيد
مشكل درد مرا چرخ ندا ند گشاد	
	محمل عشق مرا خاك نيارد كشيد
اى پسرازهرچـــه هست دست بشوى وبرو	
	راه خرابات گير رود وسرود ونبيد[٤٩]
والترجمة:	
طالما ظهرت علامة العشق فى قلبى	
	قطع العشق أى صلة لى بآدم
احترق اللفظ والعبارة فى صفة العشق	
واختفى الكلام والبيان وظهر الاسم والصفة	
مضت القافلة وتبددت معالم الطريق	
	وتقطعت الصلات بكل ذى قرابة ورحم
ولا تعرف السماء حلاً لمشكلة ألمى	
	ولا تستطيع الأرض حمل هودج عشقى
يا بنى اغسل يدك من كل ما فى الوجود واذهب	
واسلك الطريق إلى الحانات حيث واللهو والغناء والنبيذ	

ظهر لنا من الغزلية السابقة أن سنائى كان يريد أن يبين لنا أن العشـــق الإلهـــى مقاماً من مقامات سلوك الطريق الصوفى ليبين لنا الفرق بينه وبين العشق العذرى.

راية العشق الإلهى

لما كان سنائى يقدم العشق الإلهى كتعاليم، فقد صور فى الغزلية التالية أن العشق الإلهى ليس رواية ولا حكاية، وجمال المعشوق الإلهى لاحد له، وكذلك العشاق له لاحد

---

[٤٩] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٣٩٧.

لألمهم فى عشقهم لمعشوقهم، كما أوضح سنائى أن العشق الإلهى محله القلب لذلك فهو وحده الذى يتحمل ألمه، ولما كان العشق الإلهى فى القلب فإنه ليس له راية ولا علامة توضحه وتبينه، لأن عالم العشق الإلهى يخالف كل عالم، قال سنائى:

عشق بازيـــچـــه وحكايت نيست	
	در ره عاشقى شكايت نيست
حسن معشوق راچو نيست كران	
	درد عشاق را نهايت نيست
مبراين ظن كه عشق را به جهان	
	جز بدل بردنش ولايت نيست
رايت عشق آشكارا به	
	زانكه در عشق روى ورايت نيست
عالم علم نيست عالم عشق	
	رؤيت صدق چون روايت نيست[٥٠]
والترجمة:	
العشق ليس رواية ولاحكاية	
	ولا شكوى فى طريق العشق
لأن جمال المعشوق ليس له حد	
	فإن ألم العشاق ليس له نهاية
وأعلم أن هذا العشق فى الدنيا	
	لا طاقة تتحملة إلا القلب
ولأن راية العشق ظاهرة	

[٥٠] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٣٦٥.

	فإن العشق ليس له طلعة ولا راية
وعالم العلم لا يكون مثل عالم العشق	
	والرواية الصادقة لا تكون مثل الرؤية

أتضح من الغزلية السابقة أن سنائى كان يضع أفكار وقواعد العشق الإلهى بعد تحوله إليه ليفرق بينه وبين العشق العذرى.

كما بين سنائى الغزنوى أن القلب فى الجسد مثل القلندرى فى الدنيا، فكما لا يستطيع أحد أن يحبس القلندر أى الدرويش الصوفى المنتمى إلى الطريقة القلندرية من أن يهيم على وجه فى طريق العشق الإلهى، كذلك لا يستطيع أى إنسان أن يقيد القلب أو يمنعه عن سلوك العشق الإلهى، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

ما عاشق همت بلنديم	
	دل درخود ودر جهان چه بنديم
آن به كه يكى قلندر وار	
	مى گيريم ارچه دانشمنديم[٥١]
والترجمة:	
نحن عشاق الهمة العالية	
لماذا نحبس القلب فى الجسد طالما نحن فى الدنيا	
وهو مثل أحد القلندريه	
	نحن على دراية بذلك ومع هذا فإننا نحبسه

والمعنى العرفانى الذى أراده سنائى الغزنوى من لفظ "قلندر" أن القلندر هو الشخص الذى يكون قد تحرر من كل ما فى العالمين، ويكون قد وصل فى هذا التجرد

[٥١] ديوان سنائى غزنوى، غزليات، صـ٤٣٣.

والتحرر إلى درجة الكمال، وقد اجتهد فى تخريب العادات والعبادات، كما أنه يجتهد فى الملامة على أظهار العبادات ويدعو إلى كتمها[٥٢].

وبين العطار أن القلندر هو الذى ترك الدنيا وما فيها من ملذات ومتاع، ومكانته مع المتطهرين العاشقين الذين اكتوا بنار العشق الإلهى[٥٣].

ما يدور بين العاشق والمعشوق فى العشق الإلهى:

يعانى العاشق الألم والتعب من أجل المعشوق فى العشق الإلهى، لذلك فإن العاشق دائماً يتحمل الأذى والألم فى طريق العشق الإلهى، وفى الحقيقة فإن هذا الألم والتعب ما هو إلا سعادة بالنسب للعاشق لأن رؤية المعشوق من الأمانى الحلوة للعاشق، لذلك فإن العاشق يجتهد ويبذل كل ما فى وسعه من أجل أن ينال ذلك، فالعشاق فى العشق الإلهى استعدوا للمعاناة والألم لذلك فقد ربطوا فى وسطهم الأحزمة من أجل الاستعداد للخدمة، فى طريق العشق الإلهى، قال سنائى:

اى زعشقت روح را آزارها	
	بردر تو عشق رابازارها
اى زشكر منت ديدار تو	
	ديده رابرگردن دل بارها
فتنه رادر عالم آشوب وشور	
	باسر زلفين تو اسرارها
عاشقان در خدمت زلف تواند	
	ازكمر برخاسته زنارها
نيستم بادردعشقت لحظة اى	

---

[٥٢] فرهنگ عرفانى، صـ٦٤٥.

[٥٣] سهيلا صارمى: مصطلحات عرفانى ومفاهيم برحتة د/ زكريا عطار، صـ ٥٤٨.

	خالى ازغمها وازتيمارها
براميد روى چو گلبرگ تو	
	مى نهم جان را ودل راخارها[٥٤]
والترجمة:	
يا من جعلت الأذى للأرواح بعشقك	
	وجعلت أسواق العشق بعتبتك
يا من لقاك منة من الكلام الحلو	
لماذا وضعت المتاعب على كاهل القلب لرؤياك؟	
ولأنك جعلت الأسرار داخل جديلتك	
	نشرت فتنه الخوف والرعب فى العالم
لذلك ربط العشاق الأحزمة فى وسطهم	
	من أجل خدمة جديلتك
ولأنى أعانى من ألم عشقك	
فإنى لا أكون لحظة خاليا من الأحزان والهموم	
وعلى أمل رؤية وجهك الشبيه بالورد	
فإننى أتحمل وخزات الأشواك فى روحى وقلبى	

والمعنى العرفانى الذى أراده سنائى الغزنوى فى هذه الغزلية حينما ذكر لفظ "زلف"، والذى يعنى الجديلة أو الذؤابة، والذى يكنى به عند الصوفية عن مرتبة الإمكان من الكليات والجزئيات والمعقولات والمحسوسات والأرواح والأجسام والجواهر والأعراض وهو أيضاً كناية عن ظلمة الكفر، كما يقصد به خفاء ماهية الحق، والتى لا يدركها أى إنسان مطلقاً [٥٥]، كما ذكر سنائى فى هذه الغزلية أيضاً لفظ "زنار" ويراد به

[٥٤] ديوان سنائى غزنوى، غزليات، ٣٥٢.

[٥٨] فرهنگ نمادهاى، صـ٥٤، فرهنگ عرفانى، صـ٤٢٢.

عند الصوفية التمسك بحبل الله المتين فى توحيد الذات الإلهية، كما يراد به عندهم ربط عقد الخدمة والطاعة للمحبوب الحقيقى[٥٦].

ثمرة العشق الإلهى:

رغبة القلب الوصول إلى المعشوق، لذلك فإن سنائى أوضح أن رغبة العاشق فى العشق الإلهى هى الوصول بالقلب إلى الانعامات الإلهية، حيث صور سنائى فى الغزلية التالية أن قلب العاشق أصبح صيداً ثمينا فى شباك العشق الإلهى، والروح أصبحت شرابا فى كأس العشق الإلهى، وكأس الخمر تثير وجد العاشق فى طريق العشق الإلهى فيصاب العاشق بالألم لدرجة أنه لا يستطيع أن ينطق لفظ العشق بلسانه، وهذا أعجب ما فى الكون، وهذا هو ما يريح العاشق، والعاشق فى طريق العشق الإلهى عرف أن العشق يريد أن يسلبه قلبه وروحه ودينه، لذلك أوجب العاشق ذلك على نفسه باعتبار أن هذا الأمر رسالة العشق، وجعل القلب والدين والروح فداء للعشق من أجل الوصول إلى الإنعامات الإلهية، قال سنائى:

تادل من صيد شد دردام عشق	
	باده شد جان من اندرجام عشق
آن بلا كز عاشقى من ديده ام	
	بازچون افتاده ام در دام عشق
در زمانم من مست وبى سامان كند	
	جام شور انگيز درد آشام عشق
من خود ازبيم بلاى عاشقى	
	برزبان مى نگذرانم نام عشق
اين عجب تركز همه خلق جهان	

[٥٦] فرهنگ نمادهاى، صـ٦٨، فرهنگ عرفانى، صـ٤٤٥.

	نزد من باشد همه آرام عشق
جان ودين ودل همى خواهد زمن	
	اين بدست ازسوى جان پيغام عشق
جان ودين ودل فداكردم بدو	
	تامگريك ره برآيد كام عشق[٥٧]
والترجمة:	
طالما أصبح قلبى صيداً فى شبكة العشق	
	فإن روحى أصبحت خمراً فى كأس العشق
حينما وقعت فى شرك العشق ثانية	
	رأيت البلاء من ذلك العشق
والكأس المثيرة لألم شراب العشق	
	تجعلنى ثملاً شريداً لى لحظة
وأنا نفسى من الخوف من بلاء العشق	
	لا أنطق باللسان اسم العشق
الأعجب من هذا أن كل ما خلق فى الدنيا	
	يكون عندى كله فى خضوع للعشق
والعشق يريد منى الروح والدين والقلب	
وهذا لابد منه من العاشق لأداء رسالة العشق	
لذلك جعلت الروح والدين والقلب فداء له	
لعلى أوفق فى طريق واحد وهى الرغبة فى العشق	

[٥٧] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٤٢٦.

أوضح سنائى فى الغزلية السابقة أن رغبة القلب فى العشق الإلهى الوصول إلى الإنعامات الإلهية ليفرق بين رغبة القلب فى العشق العذرى والعشق الإلهى، حيث تكون رغبة القلب فى العشق العذرى رغبة دنيوية بحتة.

وفى هذه الغزلية ذكر سنائى ألفاظاً لها دلالات عرفانية، من الألفاظ التى ذكرها لفظ "باده" ومعناه الخمر، ويراد به فى الشعر العرفانى عشق السالك الذى يكون ضعيفاً فى بداية سلوك الطريق الصوفى، كما يراد منه أيضاً غليان العشق الناشئ عن الأنوار المتتابعة[٥٨].

كما ذكر لفظ "دام" ومعناه شبكة أو شرك، أو هو فى الشعر العرفانى كناية عن مظاهر الدنيا الخداعة، والتى تجعل الإنسان أسيراً لنفسه وتمنعه من السير فى الملكوت الأعلى[٥٩].

وبهذا يتبين أن ما أراده سنائى من هذه الغزلية إرشاد السالك فى طريق العشق الإلهى إلى ماهية العشق الإلهى، حيث بين سنائى أن فى العشق الإلهى الراحة التامة للعاشق، لذلك ينبغى على العاشق أن يضحى فيه بكل ما يملك من أجل التوفيق فى سلوكه للعشق الإلهى.

ثم بين سنائى فى الغزلية التالية أن الزُنار والكفر والحانة هى أنظمة العشق الإلهى، وهذه المصطلحات يكنى بها فى العشق الإلهى عن الاستعداد لطاعة الله عز وجل والإيمان الحقيقى به ومناجاته من أجل الشوق إلى نيل معارفة الإلهية، كما بين أن الآلاف فى العشق الإلهى أختاروا السفر إلى مقامة، حيث أنهم تخلصوا من كل ما فى العالمين ووضعوا رقابهم تحت وطئه العشق الإلهى، وكان ذلك الفعل منهم بمحض إرادتهم.

---

[٥٨] فرهنگ عرفانى، صـ١٧٦، فرهنگ نمادهاى، صـ ٦١.

[٥٩] فرهنگ عرفانى، صـ٣٨٠.

وقد تحرروا من رغبة وهوى نفوسهم، لأنهم أصبحوا من الأساس ربيبى العشــق الإلهى، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

ازحل وازحرام گذ شتست كام عشق	
	هستى ونيستى ست حلال وحرام عشق
تسبيح ودين وصومعه آمد نظام زهد	
	ونار وكفر وميكده آمد نظام عشق
چندين هزار جان مقيمان سفر گزيد	
	جانى هنوز تكيه نزد در مقام عشق
اين طرفه تركه هردوجهان پاك شد ز دست	
	با اين هنوز گردن مازير وام عشق
برخاست اختيار وتصرف زفعل ما	
	چون كم زديم خويشتن ازبهر كام عشق
اندر كنشت وصومعه بى بيم وبى اميد	
	در باختيم صد الف أزبهر لام عشق
بردا شت پرده هاى تشابه ز بهرما	
	تاروى داد سوى دل ما پيام عشق
مستى همى كنم زشراب بلاوليك	
	هر روز بر ترست چنين ازدحام عشق
آزاده ما نده ايم زكام وهواى خويش	
	تاگشته ايم ازسر معنى غلام عشق[٦٠]
والترجمة:	

[٦٣] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٢٤٦، ٤٢٧.

مراد العشق تجاوز الحلال والحرام	
لأن الحلال والحرام فى العشق يوجب الوجود أو العدم	
التسبيح والتدين والصومعة صلحوا ليكونوا انظمة للزهد	
والزنار والكفر والحانة تناسبوا ليكونوا أنظمة للعشق	
ألاف من العشاق المقيمين اختاروا السفر	
وهم الآن حيث ملازهم الابدى فى مقام العشق	
والأطرف من ذلك أنهم تطهروا وتخلصوا من كل ما فى العالمين	
ومع هذا فإن رقابنا الآن تحت وطئه العشق	
وبدا هذا الاختيار والتصرف من إرادتنا	
	وحقرنا أنفسنا من أجل الرغبة في العشق
فى معبد النار والصومعة بدون خوف وبلا أمل	
	نقامر بمائة ألف من أجل خرقة العشق
وتزال المراحل المختلفة من أجلنا	
	حتى تتجه رسالة العشق إلى قلوبنا
وحينما نسكر بشراب العشق	
	ففى كل يوم يزيد السكر من معاناة عشقنا
فنصير أحراراً من رغبة وهوى النفس	
	طالما أصبحنا من الأساس ربيبى العشق

بذرة وحدة الوجود:

يبدو من الأبيات التالية التى وردت فى إحدى غزليات سنائى أنه حين تحول إلى التصوف فى غزلياته، وتحدث عن العشق الإلهى تأثر بفكرة وحدة الوجود، التى لم تكتمل بصورة نهائية إلا فى القرن السابع الهجرى، كما أوضح التفتازانى حيث أشار

إلى أنه لم يظهر مذهب وحدة الوجود فى صورته الكاملة فى التصوف الإسلامى إلا بمجئ الصوفى الاندلسى محى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٢٨هـ[٦١].

غير أن هذه الفكرة كان لها وجود فى المشرق الإسلامى فى القرون الثلاثة الأولى من الإسلام قبل المغرب، حيث تم الترويج لهذه الفكرة بالاندلس فى القرن الرابع الهجرى، وتصوف وحدة الوجود هو التصوف المبنى على القول بأن ثمة وجوداً واحداً فقط هو وجود الله، أما التكثر المشاهد فى العالم فهو وهم على التحقيق تحكم به العقول القاصرة، فالوجود اذن واحد لا كثرة فيه[٦٢].

وفى اعتقادى أن سنائى عبر عن تلك الفكرة ببساطة فى الأبيات التالية غير أن هذه الفكرة لم تكتمل عنده، واكتملت عند شعراء الغزل الصوفى الذين جاءوا من بعده، قال سنائى:

به درگاه عشقت چه نامی چه ننگی	
	به نزد جلالت چه شاهی چه شنگی
جهان پر حديث وصال تو بينم	
	زهی نارسيده به زلف تو چنگی
همانا به صحرا نظر كرده ای تو	
	كه صحرا ز رويت گرفتست رنگی
عكس رخ تو به هر مرغزاری	
	زديبای چينی گشاده ست تنگی[٦٣]
والترجمة:	

(٦١) مدخل إلى التصوف الإسلامى، صـ ١٩٨.

(٦٢) مدخل إلى التصوف الإسلامى، صـ١٩٨، ١٩٩.

(٦٣) ديوان سنائى، غزليات، صـ٥٠٧، ٥٠٨.

فى بلاط عشقك أى شهرة وأى اعتبار!	
	وفى قرب عظمتك أى ملك وأى اعتبار!
أرى الدنيا مملوءة بحديث وصالك	
والعجب أن المطرب لم يصل بعد إلى جديلتك	
كأنك نظرت إلى الصحراء	
	لأن الصحراء أخذت اللون من طلعتك
وصورة وجهك فوق كل مرج	
	وقد تجلى ما اختفى من الديباج الصينى

من الغزلية السابقة يظهر لنا الفرق بين فكر سنائى عن المعشوق فى الغزليات العذرية والمعشوق فى الغزليات العشق الإلهى، والتى نظمها بعد تحوله إلى التصوف والعرفان.

وصف السلوك فى طريق العشق الإلهى:

أوضح سنائى أن سلوك العشق الإلهى يكون بالشراب والمعشوق وحانات الشراب والكفر، ولكن من سلك الطريق وعاش بهم فهو بعيد عن كل الأحزان، لأنه ترك الطريق المعوج واتجه إلى الطريق المستقيم وهو طريق السلوك إلى العشق الإلهى وأوضح سنائى أن طريق العشق الإلهى كله هدى، ومن كان بدون عشق وخمر فإن حياته تصبح فى ملل، قال سنائى:

عشق وشراب ويار وخرابات وكافرى	
	هركسى كه يافت شد زهمه اندهان برى
راه كج به سوى خرابات راه يافت	
	كفرش همه هدى شد وتوحيد كافرى
بيزار شد زهرچه بجز عشق وباده بود	

بست او ميان به پيش يكى بت به چـــا كرى	
برخيز اى سنايى باده بخواه وچنگ	
	اينست دين ما وطريق قلندرى[٦٤]
والترجمة:	
العشق والشراب والمعشوق والحانات والكفر	
كل شخص عاش بهم فهو بعيد عن كل الاحزان	
ومن اتجه نحو حانات الشراب وترك الطريق المعوج	
	فإن كفره اصبح كله هدى وكفره توحيد
لأن من كان بدون عشق وخمر فقد أصبح فى ملل	
	وكأنه سخر للخدمة أمام أحد الأصنام
لذلك فانهض يا سنائى واطلب الخمر والعود	
	وقل هذا هو ديننا وهذه هى طريقتنا

أوضح سنائى فى الغزلية السابقة أن سلوك الطريق فى العشـــق الإلهـــى يســـبب السعادة ويبعد الأحزان، لأنه الطريق المستقيم، بينما كان سنائى قد بـــين فـــى أحـــدى غزلياته التى نظمها فى العشق العذرى أن سلوك الطريق فى العشق العذرى عذاب وألم ومعاناة، ونصح العاشق أن يبتعد عن هذا الطريق، وبهذا يتضح لنا الفرق بين النـــوعين من العشق فى غزلياته.

والغزليه التالية لسنائى التى بين فيها حال العاشق فى العشـــق الإلهـــى بطريقـــة عرفانية، حيث أشار إلى أن العشق الإلهى معاناة يعانيها العاشق حيث يصير فى الحيـــاة كأنه سكيراً وفاقد الوعى، كما أن العشق الإلهى يجعل العاشق يرتدى وشاح المجـــوس

[٦٤] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٥٥.

فوق جسده النحيل وهو كناية عن ربط عقد الخدمة والطاعة للمعشوق وهـو الله عـز وجل، كما أن العشق الإلهى يمحى قسوة القلب وغلظته قال سنائى:

عاشقى تادر دل ماراه كرد	
	اغلب انفاس ما را آه كرد
بود هر بارى دلم عاشق به طوع	
	برد وزير پاى عشق اكراه كرد
عيش چون نوش مراچون زهر كرد	
	صبر چون كوه مراچون كاه كرد
باز در شهر مسلمانان مغى	
	كرد ما رابسته ونا گاه كرد
ازتن باريك من زُنَّار ساخت	
	وزدل سنگينم آتشگاه كرد[٦٥]
والترجمة:	
طالما دخل العشق فى قلوبنا	
	جعل أغلب أنفاسنا آهات
كان قلبى عاشقا طواعية كل مرة	
ولكن هذه المرة أكره وجعل تحت وطئة العشق	
وأحال العيش عذاباً وجعلها لى سماً	
	وكان الصبر جبلاً وجعلنى كقشة تبن
وأعاد إلى بلاد المسلمين رسوم المجوس من جديد	
	وجعلنا فاقدى الوعى على حين غرة

[٦٥] ديوان سنائى، غزليات، صـ٣٨٣، ٣٨٤.

وجعل جسده النحيل زناراً	
	وأحال قلبي الصلد معبداً للنار

فرق سنائى فى هذه الغزلية السابقة بين معاناة العشق الإلهى ومعاناة العشق العذرى، حيث بين أن معاناة العشق الإلهى هى فى الحقيقة سعادة وليست معاناة، بينما بين فى أحدى غزلياته السابقة أن معاناة العشق العذرى معاناة حقيقة يشعر بها العاشق.

وصال المعشوق فى العشق الإلهى:

أوضح سنائى فى الغزلية التالية حال العاشق فى العشق الإلهى بالنسبة لمعشوقة فبين أن العاشق احترق قلبه فى العشق الإلهى، الأمر الذى جعل روحه تضئ بنور وصال المعشوق، لأن الوصال لا يكون إلا بالعشق، والألم الذى يكون فى القلب ليس له علاج سوى وصال المعشوق الإلهى بالعشق، والعاشق فى راحة تامة طالما يرى وجه المعشوق، والعاشق دائماً يجرى نحو المعشوق، ولا يريد أن يسمع بأذنه إلا اسم المعشوق، ولا يرغب أن يردد بلسانه سوى اسمه، والمعشوق هو راحة فى قلب العاشق، ونور فى عينه، لذلك فالعشق الإلهى هو سيد فى قلب العاشق، والعاشق هو عبد العشق الإلهى، قال سنائى:

دل سوخته اى به آتش عشق	
	بفروز به نور وصل جانم
بى عشق وصال تو نباشد	
	جز نام زعيش برزبانم
اكنون كه دلم ربودى ازمن	
	بى روى تو بود چون توانم
دردیست مرا درین دل از عشق	
	درمانش جز ازتو مى ندانم

بربوى توز آرزوى رويت	
	همواره به كوى تو دوانم
تا گوش همى شنيد نامت	
	جز نام تو نيست بر زبانم
اى عشق تو بردلم خدا وند	
	من بندهٔ عشق جاودانم
وصف تو شد ست ماهرويا	
	از وهم برون واز گمانم
پيش آى بتا وباده پيش آر	
	بنشان برخويش يك زمانم
از دست تو گر چشم شرابى	
	تا حشر چو خضر زنده مانم[٦٦]
والترجمة:	
أكتوى القلب بنار العشق	
	وتضئ روحى بنور الوصال
لا يكون الوصال بدون عشقك	
ولا يكون على لسانى فى الحياة سوى اسمك	
لانك خطفت قلبى منى الآن	
	كيف أستطيع الحياة بدون سلوك طريقك؟
لإن الألم أصاب قلبى بسبب العشق	
	فلا أعرف له علاجاً إلا منك

[٦٦] ديوان سنائى، غزليات، صـــ٤٤٤.

وبسبب الشوق إليك والرغبة فى وجهك	
أجرى دائماً نحو محلتك	
وطالما تسمع الأذن اسمك	
	لايكون فوق لسانى سوى اسمك
أيها العشق أنت السيد فى قلبى	
	وأنا خادم للعشق دواما
أيها الحبيب أن وصفك دوما	
	يخرجنى عن الوهم وعن الخيال
تعال أيها المعشوق وأحضر الخمر عندى	
	واسعد نفسى لحظة
ولو تناولت بيدك جرعة شراب	
فإنى أظل بها حياً إلى يوم الحشر مثل الخضر	

أظهر سنائى فى هذه الغزلية الفرق بين العشق فى غزليات العشق الإلهى والغزليات العذرية، حيث بين أن العشق فى غزليات العشق الإلهى راحة فى القلب ونور فى العين، بينما يكون فى الغزليات العذرية نار فى القلب ودموع فى العين.

وفى الغزلية التالية قدم سنائى بعض النصائح للعاشق فى العشق الإلهى فبين له أن طريق العشق الإلهى ليست مملوءة بالورود، أنما هى ملبدة بالأشواك، حيث وصفها بأنها طريق الأهوال، ولو أراد العاشق الوصول إلى محلة الحبيب فعليه أن يسلم الجسم والروح، ولو يريد أن يحصل على ماء الحياة، أى الحياة الخالدة فعلية أن يزهد فيما

يملك من المال، لأن المال للدجال والعشق لعيسى عليه السلام[٦٧].

ثم يحذر سنائى العاشق من الإدعاء والنفاق واظهار العشق بارتداء المرقع، وهذا يتفق مع فكر الملامتية، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

عاشقا قفل تجرد بر در آمال زن	
	در صف مردان قدم برجاده ٔ اهوال زن
خاگ كوى دوست خواهى جسم وجان برباد ده	
آب حيوان جست خواهى آتش اندر مال زن	
مال را دجال دان وعشق را عيسى شمار	
	چون شدى ازخيل عيسى گردن دجال زن
اى مرقع پوش بى معنى كه گويى عاشقم	
	لال شو زين لاف وقفلى بر زبان لال زن
تاكى ازجور تو اى گندم نماى جوفروش	

---

[٦٧] ذكر الدكتور "سيروس شميسا" فى معجمه عندما كان يتحدث عن لفظ "دجال" بيت سنائى التالى والذى ورد فى الغزلية المشار إليها فى البحث وهو:

مال را دجال دان وعشق را عيسى شناس	
	چون شدى از خيل عيسى گردن دجال زن

غير أنه أورد لفظ "شناس" بدلاً من لفظ "شمار" والاصح شمار كما ورد فى ديوان سنائى، واستشهد بهذا البيت بخروج الدجال اللعين قرب يوم القيامة، وأوضح أنه سينزل عيسى عليه السلام فيقتله.

أنظر: سيروس شميسا، دكتر، فرهنگ تلميحات، إشارات اساطيرى، داستانى، تاريخى، مذهبى در ادبيات فارسى، صـ٢٧٢، انظر لفظ "دجال" چاپ شتم، چاپ تهران سال ١٣٧٨.

والجدير بالذكر فإن أبن كثير أورد فى قصص الأنبياء أن عيسى عليه السلام سينزل على المنارة البيضاء بدمشق قبل يوم القيامة، وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له أمام المسلمين حينذاك تقدم يا روح الله فصل، فيقول عيسى عليه السلام بل أقيمت الصلام لك فصل، ويصلى عليه السلام خلف الأمام، ثم يركب ومعه المسلمون فى طلب المسيخ الدجال فيلحقة عند باب "لد" فيقتله بيده الكريمة.

أنظر: الأمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، صـ٦٢٧، ٦٢٨، ط١ ١٤٠١هـ، = ١٩٨١م.

كما نقل ابن كثير أيضاً فى تفسيره حديثاً رواه الإمام البخارى ومسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خير من الدنيا وما فيها.

أنظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول صـ٧٤٩، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وعبد الله المنشاوى، ط١، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة مصر ، عام ٢٠٠٦م.

هذا يدل على سعة معارف سنائى، حيث أنه ذكر هذه الحقائق الدينية عندما كان يقدم النصائح للعاشق فى العشق الإلهى.

رويكى ره اين جو پوسيده راغربال زن[٦٨]
والترجمة:
أيها العاشق ضع قفل التجرد فوق باب الآمال
وضع القدم كالرجال على طريق الأهوال
لأنك تريد محلة الحبيب فضحى بنفسك
ولو تريد أن تجد ماء الحياة فاشعل النار فى المال
وأعتبر المال كالدجال والعشق كعيسى
فإن صرت من فرسان عيسى فاضرب رقبة الدجال
أيها الصوفى ما تدعيه أنك عاشق لا قيمة له
فاسكت عن هذا الإدعاء وضع قفلاً لتخرس به اللسان
إلى متى تستمر فى الخداع وتظهر القمح بينما تبيع الشعير
فاذهب إلى ركن وغربل هذا الشعير المندرس

الرغبة فى العشق الإلهى لا تتوافق مع الرغبة فى الدنيا:

كما أوضح سنائى أن القلب فى العشق الإلهى يصاحبه الغم، والقلب الذى يكون على غير هذه الصفة فى العشق الإلهى لا يكون فيه أثر من العشق، كما بين سنائى أن الرغبة فى العشق الإلهى لا تجتمع مع الرغبة فى الدنيا، لأن العشاق فى العشق الإلهى لا تكون لهم رغبة فى الدنيا، وبرؤية وجه المحبوب فى العشق الإلهى، لا يصير الغم غماً، قال سنائى فى إحدى غزلياته:

هردل كه قرين غم نباشد	
	ازعشق براو رقم نباشد
من عشق تو اختيار كردم	

[٦٨] ديوان سنائى غزنوى، غزليات، صـ٤٦٧.

	شايد كه مرادرم نباشد
زيرا كه درم هم ازجهانست	
	جانان وجهان بهم نباشد
باديدن رويت اى نگارين	
	گويى كه غمست غم نباشد
تا در دل من نشسته باشى	
	هرگز دل من دژم نباشد
پيوسته در آن بود سنايى	
	تاجز به تو متهم نباشد[٦٩]
والترجمة:	
كل قلب لا يكون مصاحباً للغم	
	لا يكون فيه أثر من العشق
ولأنى اخترت عشقك	
	فالأليق بى ألا أمتلك درهماً
لأن الدرهم قرين الدينا	
	والعشاق والدنيا لا يلتقيان
وبرؤية وجهك أيها الحبيب	
	تقول إن الغم لا يكون غماً
طالما تكون مستقراً فى قلبى	
	لا يكون قلبى حزيناً مطلقاً
وطالما كان سنائى مرتبطاً بذلك	

[٦٩] ديوان سنائى، غزليات، صـ ٣٨٨

	فإنه لا يكون متهما إلا بك

فرق سنائى فى الغزلية السابقة بين الرغبة فى العشق الإلهى والرغبة فى العشق العذرى، حيث بين أن الرغبة فى العشق الإلهى لا تكون معها رغبة أخرى مطلقاً، بينما الرغبة فى العشق العذرى تصاحبها الرغبة فى الدنيا.

وعندما تحول سنائى إلى العشق الإلهى جعل له خصائص اتضحت من الغزليات التى نظمها فى العشق الإلهى، التى لم تشاهد فيها الشكوى من المعشوق مثل قوله فـــى إحدى غزلياته:

هم ساكن خانقاه بوديم	
	هم خرقه صوفيان دريديم
بگزيد يم ياری از خرابات	
	با او به مراد آر ميديم[٧٠]
والترجمة:	
نحن أيضاً سكنا الخانقاة	
	نحن أيضاً مزقنا الخرقة الصوفية
ونحن أيضاً اخترنا المعشوق من الحانات	
	واسترحنا معه حيث المراد

وقوله فى إحدى غزلياته

هرآن روزی كه باشم در خرابات	
	همی نالم چو موسی در مناجات
خوشا روزی كه در مستی گذارم	

[٧٠] ديوان سنائى، غزليات، صـــ ٤٥٣.

	مبارك باشدم ايام وساعات[٧١]
والترجمة	
طوال اليوم الذى أقضية بالحانات	
	أتأوه مثل موسى وقت المناجاة
وما أجمل الوقت الذى أقضية فى السكر	
	لأن أيامه وساعاته تكون مباركة
وقوله فى أحد غزلياته	
نخواهم من طريق وراه طامات	
	مرا مى بايد ومسكن خرابات
گهى با مى گسارم انده خو يش	
	گهى باجام باشم در مناجات
طريق عشق آن باشد كه هرگز	
	نيابد عاشق از معشوق حاجات[٧٢]
والترجمة	
لا أريد الطريق وسبيل الطامات	
	إنما الذى يلزمنى الخمر ومسكن الحانات
أحيانا أخفف عن أحزانى بالخمر	
	وأحياناً حينما أحمل الكأس أكون فى مناجاة
طريق العشق ذلك الذى	
لا ينال فيه العاشق من المعشوق الحاجات مطلقاً	

(٧١) ديوان سنائى، غزليات، صـ ٣٧٠

(٧٢) ديون سنائى، غزليات، صـ ٣٧١.

دل ذلك على تحول سنائى إلى العشق الإلهى، وأنه حول غزلياته إلـــى غزليـــات مرموزة، وهذه خاصية من إحدى خصائص غزليات سنائى التى نظمهـــا فـــى العشـــق الإلهى.

الخاتمة:

وبهذه الدراسة الخاصة بالعشق فى غزليات سنائى الغزنوى توصلت إلى ما يلى:

إذا كان سنائى قد أفاض بالمفاهيم التى وصف بها العشق الإلهى، فإنه تحدث أيضاً فى غزلياته عن العشق العذرى بشخصية الحكيم الذى يقدم النصح للعاشق والمعشوق فى العشق العذرى ، فقد دعا المعشوق إلى تخفيف آلام العاشق التى وصفها بأنها لا تماثلها آلام فى الدنيا، كما وصف العشق العذرى بأن بدايته تكون جميلة وحلوه، ونهايته تكون ألم ومشقة، كما وصفة بأنه نار فى القلب ودمع فى العين، بدايته نظرة واستحسان ونهايته ألم وآهات، وكان من أهم خصائص العشق العذرى فى غزليات سنائى، والتى اتضحت من خلال هذا البحث الشكوى من المعشوق العذرى، وقد تناولها سنائى بطرق متنوعة.

كما يعتبر الحكيم سنائى الغزنوى أول شاعر فارسى أدخل الألفاظ والتراكيب والاصطلاحات العرفانية لأول مرة فى الغزل الفارسى، كما يعتبر هو الذى أظهر جذور العشق الإلهى فى الغزل الفارسى بجانب العشق العذرى، وبذلك يكون سنائى من بين شعراء عهده نقطة تحول ورائد لناظمى أشعار الزهد والعرفان.

ولما كان سنائى هو أول من وضع قواعد العشق الإلهى فى الغزليات الفارسية، فإنه وضع له مفاهيم جديدة، حيث قصد به محبة الحق بكل إخلاص، كما أنه أول من أدخل الألفاظ القلندرية فى الغزل الفارسى، وأول مبتكر للأشعار القلندرية فى الغزليات الفارسية.

وقد ترددت هذه المعانى فى الأفكار الصوفية بعده، والعشق الإلهى أتضح أنه له مفاهيم خاصة عند سنائى كما ظهر من هذا البحث، وقد صوره سنائى بأنه بحر ماؤه نار وأمواجه مرتفعة، وهو هداية للقلب، وهو فى القلب نور اليقين والقلب حى بالعشق الإلهى، وميت بدونه، كما أن العشق الإلهى انقطاع إلى الله عز وجل، لذلك فإن الروح والقلب يكونا فداءً للعشق الإلهى.

وبذلك تبين لنا أن هناك فروقاً بين العشق العذرى والعشق الإلهى، كما ظهر لنا أن النوعين موجودان فى غزليات سنائى وفى الديوان الذى يحتفظ بقصائد قالها سنائى فى باكورة حياته الشعرية قبل أن يتحول إلى التصوف والعرفان.

المصادر والمراجع:

أولاً: باللغة العربية:

١-أبو العلا عفيفى، دكتور، الملامتية والصوفية وأهل الفتوى، ط١، القاهرة عام ١٩٤٥م.

٢-أبو الوفا الغنيمى التفتازانى، دكتور، مدخل إلى التصوف الإسلامى، ط القاهرة عام ١٩٧٩م.

٣-إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، ط١ القاهرة عام ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٤-تفسر القرآن العظيم، المجلد الأول، تحقيق طه عبد الرؤوف، عبد الله المنشاوى، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، عام ٢٠٠٦م.

٥-رضا زاده شفق، تاريخ الأدب الفارسى، ترجمة محمد موسى هنداوى، ط القاهرة، دار الفكر العربى، عام ١٩٤٧.

ثانياً: باللغة الفارسية:

١-اعلاخان افصح زاد: نقد وبررسى آثار وشرح احوال جامى، چاپ اول، چاپ تهران سال ١٣٧٨.

٢-پرويز بابايى: مختصرى در شرح احوال حكيم سنائى غزنوى، چاپ اول ، چاپ تهران سال ١٣٧٥.

٣-داريوش صبور، دكتر: آفاق غزل فارسى، پژوهشتى انتقادى در تحول غزل فارسى از آغاز تا امروز، چاپ دوم، چاپ تهران، سال ١٣٧٨.

٤-ذبيح الله صفا، دكتر، تاريخ ادبيات در إيران ازميانه قرن پنجم تا آعاز قرن هفتم هجرى، جلد دوم، چاپ چهاردهم، چاپ تهران، سال ١٣٧٨.

٥-مختصرى در تاريخ تحول نظم ونشر پارسى، چاپ تهران ، سال ١٣٦٨.

٦-سنائى غزنوى، ديوان سنائى، مقدمة، شرح زندگى وشيوهٔ شخن سنائى به قلم استاد بديع الزمان فروزانفر، به اهتمام پرويز بابايى، چاپ تهران سال ١٣٧٥.

٧- سهيلاً صارمي، دكتر (مصطلحات عرفانى ومفاهيم برجسته در زيان عطـــار)، چاپ أول، تهران ١٣٧٣.
٨- سيد جعفر سجادى: فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفانى، چاپ چهارم، چاپ تهران، سال ١٣٧٨.
٩- سيروس شميسا، دكتر، فرهنـــگ تلميحـــات، اشـــارات اســـاطيرى، داســـتانى، تاريخى، مذهبى در ادبيات فارسى، چاپ ششم، چاپ تهران، سال ١٣٧٨.
١٠-شرف الدين حسين بن الفتى تبريزى: رشف الالحـــاظ فـــى كشـــف الالفـــاظ، فرهنگ نمادهاى در زبان فارسى، تصحيح وتوضيح نجيب مايل هروى، چـــاپ دوم، چاپ تهران، سال ١٣٧٧.
١١-عبد الرحمن بن أحمد جامى (نفحات الإنس فى حضـــرات القـــدس)، تصـــحيح وتقديم مهدى توحيد پور، چاپ تهران ١٣٣٧.
١٢-عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله ايران جلد ســـوم از غزنويـــان تـــا انقراض صفوية، چاپ پنجم، چاپ تهران، سال ١٣٧٣.
١٣-على اكبر دهخدا، لغت نامه، جلد سوم، چاپ اول، چاپ تهران، سال ١٣٧٢.
١٤-غلام حسين يوسفى (چشمهٔ روشن ديدارى با شاعران)، چاپ هشتم، تهـــران ١٣٧٧.
١٥- قاسم غنى، دكتر، تاريخ تصوف در اسلام ، چاپ تهران سال١٣٤٠.